دور الهوية الوطنية الروسية في إنهاء هيمنة القطب الواحد

إعداد طالب الدكتوراه

بسام محمد الملحم

إشراف الدكتور

فادي خليل

المشرف المشارك الدكتور

خالد المصري

قسم العلاقات الدولية

كلية العلوم السياسية

جامعة دمشق

الملخص

تطابقت في لحظة تاريخية ما مصالح شعوب الاتحاد السوفياتي ضمن جغرافية محددة وتمكنت من تاسيس دولة مترامية الاطراف فرضت نفسها كاحدى اقوى دولتين في العالم .

لكن التجربة السوفيتية طرحت نفسها باعتبارها ارادة ايديولوجية عالية التنظيم حققت مكتسبات لا يمكن تجاهلها . ولم تمض سنوات بعد تفكك الاتحاد السوفياتي حتى بدات روسيا محاولة فرض نفسها كقطب عالمي من جديد .

وفي خضم التجاذب الروسي في تحديد الاتجاه الجديد لاستراتيجيتها ما بين الغرب والشرق وجدت القوى السياسية الروسية ان الوقت موات لتعديل مسار السياسة التي اتبعتها روسيا في بداية طريقها الجديد وتوفقت موسكو في استقراء مستقبلها حين منحت ثقتها للرئيس فلاديمير بوتين وسلمته دفة الحكم وهذا الحاكم تمكن من التشخيص جيدا ومن المعالجة الصارمة للاخطاء ،ففي فترة وجيزة استطاع ايقاف التردي الامني ومحاربة الفساد واستئناف النمو والاهم من ذلك كله استعادة خطاب الدولة العظمى على قاعدة توجه قومي روسي .

ان استعادة روسيا لموقعها الجيوسياسي يفترض الانطلاق نحو الشرق باعتباره الحليف الطبيعي لروسيا والتخلص من التصور اعتبار الشرق ((جنوب روسيا)) مصدرا للقلاقل والاضطرابات .

ويثبت تاريخ الدول ان مصيرها الى زوال ما لم يرتكز نظامها السياسي على قيم ثابتة واسس حضارية على اعتبار ان القيم الحضارية النابعة من ثقافة الشعوب وتاريخها المتعاقب هي التي تنتقل من جيل لاخر اما الانظمة والدول التي تبني مستقبلها على القوة فلن يكتب لها الاستمرارية وان تستى لها ان تترك بصمات معينة .

❖ مقدمة

ثمة موجة عالمية عارمة تجنح نحو العودة إلى الماضي أخذت تلك الموجة تفرض نفسها باضطراد منذ ثمانينيات القرن المنصرم، ولم تقتصر آثارها على بقعة جغرافية محددة أو أمة بعينها ، بل شملت او تكاد العالم بأسره وإن في درجات متفاوتة، وقد تكثف المشهد بشكل جلي في دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق الذي انقلب على مقدساته الماركسية- اللينينية وعلى ماديته الصارخة بشكل يثير الدهشة إلى الدرجة التي ادت إلى تفكك الدولة العظمى التي فرضت نفسها طيلة فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كإحدى الدولتين العظميين في العالم.

ومازال هذا التفكك يثير شهية المحللين على اختلاف مذاهبهم في جدوى الاستراتيجية الجديدة وما زال السؤال الأول نفسه يتردد إن كان ذلك خيارا طوعيا أم قسريا فرضته المتغيرات الداخلية والخارجية في العالم؟.

من الصعوبة بمكان الإجابة على جميع الأسئلة التي تفرض نفسها ضمن هذا المضمار، لكن نزعة الهوية بلا أدنى شك شكلت أحد الدوافع الأساسية في الإقدام الواعي للتخلي عن نهج بقي عصيا على تبلوره بالدرجة نفسها في آفاق الحياة كافة وفق الصورة التي تخيلها إبان النهج السوفييتي.

وبالرغم من القوة العسكرية والاقتصادية التي أوجدها الاتحاد السوفييتي إلا أن جوانب أخرى كثيرة من الحياة بقيت في حالة عطالة، إلى حد كبير، عن اللحاق بالمؤشر الاقتصادي والعسكري الذي حقق منجزات يصعب تجاهلها. هذا التفاوت كان من شأنه أن يخل بالتوازن العام لاحقا لدولة بحجم الاتحاد السوفييتي، ففي ظل عالم جديد تهشمت حدود دوله لم يعد بالإمكان أكثر لجم القوة الروحية والدينية والثقافية التي ظلت تدغدغ الشعوب التي كانت تشكل الاتحاد السوفييتي السابق في العودة إلى روحها الأصلية والانطلاق منها.

- **مشكلة البحث**

بغض النظر عن الدراسات المتفرقة باللغة العربية التي تتناول روسيا ودورها الإقليمي والدولي، إلا أن هذه الدراسات تتشابه في معظم الحالات في طريقة التعاطي ومن حيث تكرار المعلومات الواردة فيها.

يقول الروس عن أنفسهم بأنهم شعب يصعب التنبؤ بتصرفاته، وبالفعل تبدو روسيا متناقضة أحيانا، فهي تتجاهل مصالح حيوية لها دون أن تبدي ما لديها من روادع، وفي حالات محددة تنتفض موسكو بشكل يثير الدهشة.

يخطئ كثير من الباحثين في قراءة التحركات الروسية سياسياً واستراتيجيا، وهناك مجموعة من العوامل الكامنة في الهوية تشكل في مجموعها الأسس الخفية التي تستند عليها روسيا في تحالفاتها واستراتيجيتها.

هذا البحث يسعى إلى تفكيك هذه العوامل بهدف استنباط الموقف الروسي وقراءة محدداته بعد ملاحظة المتغيرات التي عصفت بالعلم جراء انهيار الاتحاد السوفييتي وبروز دور الوريث الروسي له.

- **أهداف البحث**

ما الذي تتوخاه موسكو بعد انفراط عقد الاتحاد السوفييتي السابق؟ وهل تكفي القوة العسكرية الموروثة عن الدولة العظمى لبناء ثابت حضاري وهوية جديدة يمكنها أن تكون نداً للقوى الغربية المتحالفة؟

يلاحظ المراقب أن الفشل في الحفاظ على مقومات الدولة السوفييتية نابع من تشتت الهوية الجامعة، مثلما يلاحظ انحسار الدور الروسي عقب الانهيار مباشرة. لكن ثمة تململ روسي واضح لإعادة مكانة موسكو على الصعيدين الإقليمي والدولي خاصة بعد انقضاء مرحلة يلتسين وقدوم بوتين.

هذه الدراسة عبارة عن محاولة لتقييم الإمكانات الروسية من ناحية الهوية والأساس الحضاري الذي يشكل الركيزة المتينة اللازمة لتحقيق مساعي موسكو في عالم متعدد الأقطاب .

وحاولت هذه الدراسة البحث في الإستراتيجية الروسية بعنصريها الداخلي (الذي يكتمل بحسم موضوع الهوية الوطنية الروسية) والخارجي من خلال البحث عن الدور والمكانة في الساحة الدولية التي انفردت بها واشنطن طيلة غياب القوة المنافسة.

- **خطة البحث**

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث ونتائج

- من الاتحاد السوفياتي إلى روسيا الاتحادية
- روسيا وجدل الهوية (شرقا ام غربا)
- (البوتينية) والبحث عن المكانة الدولية
- النتائج
- المراجع

- **من الاتحاد السوفياتي إلى روسيا الاتحادية**

إن الدولة السوفييتية التي شغلت حيزاً مهما في السياسة الدولية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية كانت وليدة ثورة (أكتوبر ١٩١٧) أنهت بنتيجتها حكم القياصرة الروس وأسست لنظام عالمي جديد ودولة مترامية الأطراف تتميز بتنوع ثقافي واقتصادي متميز عرفها العالم فيما بعد ١٩٢١ بالاتحاد السوفييتي، واستطاعت الثورة الشيوعية الأولى في التاريخ أن تفرض الأيديولوجيا الماركسية اللينينية كوعاء جامع للنشاط السياسي والأيديولوجي، وأصبحت هذه الدولة فيما بعد مركزاً لحلف واسع يضم مجموعة من دول أوروبا الشرقية تحت اسم (حلف وارسو، تأسس عام ١٩٥٥)، حلف يوازي، أو يكاد بقوته الحلف الآخر المناقض له في الطرف الآخر من أوروبا (حلف الناتو، تأسس عام

١٩٤٩) ، وأخذت هذه المنافسة ابعاداً اقتصادية وسياسية متعددة تركت فيما بعد بصمتها فيما عرف بالحرب الباردة التي دامت حتى انهيار الدولة السوفييتية رسمياً في العام ١٩٩١.

وبعد أن قدم الاتحاد السوفييتي من الضحايا في الحرب العالمية الثانية أكثر مما قدمه أي طرف آخر من دول الحلفاء.

وجدت موسكو أن هذا الإسهام الكبير في الحرب يخولها أن تسهم في صياغة الخارطة السياسية ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبالفعل بدا الإتحاد السوفييتي منذ ذلك التاريخ كدولة يُحسب حسابها في المتغيرات الدولية كافة، وهي الدولة التي شكلت القطب الأخر في عالم الثنائية القطبية التي بقيت لفترة أكثر من اربعة عقود.

وللإنصاف بقي الاتحاد السوفييتي باعتباره القائد الأساسي في حلف وارسو هو من يسوس هذا التحالف وبالتالي فرض عليه تحمل عبء مجموعة الدول التي يتزعمها كاملة، إضافة إلى عبء الأيديولوجيا الجديدة التي بشر بهيمنتها بعد انتصار الثورة الاشتراكية الأولى في العالم. هذا الوضع الجديد حتم من جهة أخرى على موسكو مناصرة الدول التي تسعى إلى التحرر من الاستعمار وكذلك مناصرة حركات التحرر الوطنية من اسيا وأفريقيا إلى امريكا اللاتينية ضد الدول الغربية والمستعمرة بأشكالها، وبهذا الدعم استطاع الاتحاد السوفييتي أن يسهم في تغيير خريطة العالم السياسية وبفضل وجوده تحررت دول كثيرة ونجحت أنظمة كثيرة في الوصول إلى سدة الحكم بفضل موسكو في بلدان نامية لا تنبت في تربتها الأفكار المادية والماركسية أبداً، وفتحت جبهات مفتوحة للصراع الخفي مع المعسكر المناهض (الولايات المتحدة والدول الغربية) ودام هذا الصراع طيلة الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية حتى أفول نجم الاتحاد السوفييتي من الخارطة السياسية كدولة واحدة . أربعة عقود ونيف والصراع تحت الرماد في الساحات المختلفة بين المعسكرين فيما أطلق عليه اسم الحرب الباردة. انتهى هذا الصراع على حين غرة وبشكل فاجأ الجميع ولم يكن ذلك ممكناً حتى في الخيال السياسي قبل إعلان البيريسترويكا وظهور بوادر الانقلاب على الدولة الماركسية ونظريتها العالمية. وفيما بدا لاحقاً أن عبء التزامات الدولة العظمى ظل ثقيلاً على الاقتصاد والحياة المعيشية والاجتماعية السوفيتية، ولم يكن بمقدور اقتصاد دولة واحدة أن يتحمل عبء المنافسة غير المتكافئة مع الولايات المتحدة والدول الغربية القوية الأخرى (بريطانيا، فرنسا) فقررت موسكو بعد صمود طويل التخلص من الحمل الثقيل والمواجهة التي لا تبدو نتائجها لصالح المعسكر الاشتراكي فقررت إعلان انتهاء المواجهة وهي ما تزال تمتلك ما تمتلكه من قوة عسكرية واقتصادية.

وجدت موسكو أن إصلاح حال الاتحاد السوفييتي وإعادة بنائه (البيريسترويكا) ممكن في إطار اتباع سياسة تحافظ على بقاء مقدرات الدولة وعلى مكانتها في الساحة الدولية، وفي اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في نيسان عام ١٩٨٥ توصل المجتمعون إلى ان البلاد على حافة أزمة، وفي الاجتماع نفسه تم الاتفاق على نقطة الانعطاف نحو النهج الجديد، نهج البيريسترويكا وأسس مفاهيمها [١].

كثفت وسائل الإعلام السوفييتية من الترويج لنهج البيريسترويكا التي أطلقها الرئيس السوفييتي غورباتشوف باعتبارها الحل المنطقي والعملي لتجنب الانهيار الكارثي القادم لا محالة، وقد وجدت دعوته هذه استجابة كبيرة في الداخل والخارج، فقد كان رجال الفكر والسياسة في الاتحاد السوفييتي قد تنبهوا الى ان مجتمعهم قد وصل إلى مرحلة مزرية من الركود لكن النظام الحديدي ظل يحاصر مثل هذه الأفكار ،حتى لم يعد بمقدور الدولة السوفييتية أن تصمد

---

[١] - عواطف ابراهيم، التحولات الجغرافية التاريخية والسياسات الروسية، على موقع الجزيرة الالكتروني، وفق الرابط التالي:
ttp://www.aljazeera.net/NR/exeres/B٣٧٢CDCA-F٦ED-٤EY٨-A٦٨٠-F٢٥١١D٢٨٤٩-D.htm

أكثر في وجه الرأسمالية العالمية التي حققت دولها رفاهية كبيرة لمواطنيها في الوقت الذي بشرت الأيديولوجيا الشيوعية تلاشي تلك الدول بعد أن تأكلها الأزمات المتلاحقة، لكن النظام الرأسمالي استطاع أقلمة نفسه مع التناقضات التي يعانيها مجتمعه، مثلما استطاع عبر المرونة التي حققها نظامه السياسي من تجاوز الأزمات بمهارة كبيرة.

بعد بضع سنوات من تفعيل سياسة البيريسترويكا وتحديدا في ٨ كانون الأول ١٩٩١، وقع الروسي بوريس يلتسين والأوكراني ليونيد كرافتشوف والبيلاروسي فياتشيسلاف شوشكيفيتش على الاتفاقيات المعروفة "بمعاهدات مينسك" التي نصّت على حلّ إتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفياتية في ٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩١، واستبداله بمجموعة الدول المستقلة. ودعيت الجمهوريات الإثنتي عشرة الأخرى التي كان يتألف منها الاتحاد السوفييتي حينها، للانضمام إلى المجموعة. كانت النتائج تفوق حدود التصور، إذ خرجت بذلك إحدى الدولتين العظميين من حلبة المنافسة والتسليم بانتصار المعسكر الآخر في الحرب الباردة، وراج الادعاء بأن العالم تحول من الثنائية القطبية إلى الأحادية القطبية، وبادر الرئيس الأمريكي بإعلان مولد نظام عالمي تهيمن عليه بلاده، وفقدت الدول العربية والنامية عموما نصيرا قويا لقضاياها خاصة في المحافل الدولية.

تلقفت الولايات المتحدة والدول الغربية عموما حالة تفكك الاتحاد السوفييتي وبدأت تلك الدول تعمل على تغذية العملية بشكل لا تستطيع روسيا من إعادة الوضع السياسي الدولي إلى أيام الاتحاد السوفييتي السابق وكي لا تعود قادرة على التحدي مرة أخرى. ربما خُدعت روسيا بداية ببعض الاستثمارات الغربية، وظنت أن الغرب سيدمجها بالنظام الاقتصادي العالمي، لكن هذا كان مجرد وهم، ذلك لأن الغرب ركز على المعونات الاقتصادية لدول أوروبا الشرقية لإبعادها أكثر عن روسيا مما سيسهم بالمزيد من عدم إعادة الوضع السابق أبان الحرب الباردة[١].

ومن العبث الآن الدخول في جدلية الـ (لو) باعتبارها ضرب من الافتراضات، لكن تفكك الاتحاد السوفييتي الذي جاء في المرحلة التي بلغ بها الاتحاد العقد السابع من عمره وتحقق من خلاله تأسيس دولة عظمى حققت توازنا أكيدا في العلاقات الدولية، مع ذلك تمت عملية التفكك بإدارة سياسية دقيقة بغض النظر عن الانتقادات الكثيرة لها، وهذا الوعي بضرورة التغيير مكنت موسكو من السيطرة على الأوضاع وإدارة التفكك بحيث مكنها فعلا من استعادة بعض من عناصر القوة التي تختصر سلبيات الفترة الانتقالية تؤهلها للعب دور يحاكي أو يكاد عمّا كان عليه الاتحاد السوفييتي السابق، ولو لم تكن هناك إدارة ناجحة لعملية التفكك لكان من المتعذر أن تقوم قائمة لروسيا بعد عقد واحد أو ما يقارب ذلك، حيث تمكنت روسيا – إلى حد ما – من لملمة جراحها بالرغم من هول حجم عملية التفكك، مثلما جنبت نفسها الخروج من دائرة التأثير في الساحة الدولية كما حدث مع الدولة العثمانية بعد انحلالها.

بعد تفكك الاتحاد السوفييتي فقد الروس شعورهم بالتفوق مثلما بدؤوا يفقدون الإيمان بالمستقبل وبسلامة النهج الجديد في التطور[٢].

ومرة أخرى يجد الشعب الروسي أنه أمام وضع سياسي جديد بعدما فعلت سياسة البيريسترويكا ما فعلته من تغيرات سياسية مهمة على صعيد السياسة الداخلية والخارجية للدولة الوريثة، ففي النطاق الأول بدت روسيا كأنها تخلت من

١- غورباتشوف، ميخائيل، البيريسترويكا: إعادة البناء والفكر الاشتراكي إلى أين نحن سائرون، ترجمة الدكتور عباس خلف، شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، بيروت، ١٩٩٠، ص٢١.

٢- Black, Joseph, Russia Faces NATO Expansion, pp ٤٤-٥٠

مبدأ الندية التي أجهدت نفسها به طيلة عقود، ومعظم المقارنات التي كانت تدور في المناقشات كانت حول المقارنة المباشرة بين الندين القويين (الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية). ومن المحتمل أن صناع السياسة الروسية أدركوا أن مثل هذا الانسحاب أو التخلي عن دور القوة العظمى هو(انسحاب مرحلي ويصب في إطار التكتيك) ويتعذر قبوله بشكل دائم بالنسبة لدولة تعد نفسها وريثة الاتحاد السوفييتي العظيم ، لذا كان لا بد من استثمار كل السبل والامكانات لعودة قوية ومنافسة للدولة الروسية الجديدة وفرض نفسها كقطب عالمي من جديد .

- <u>روسيا و جدل الهوية (بين الشرق والغرب)</u>

منذ عهد القياصرة الروس الأوائل وصولاً الى الدولة السوفييتية نتاج الثورة الاشتراكية العظمى التي بذرت بذرة الدولة الاشتراكية القابلة للتصدير والتجسيد في أماكن مختلفة، والروس لا ينظرون بعين الرضى إلى موقعهم في العالم، وهم الذين يعتقدون أنهم أغنى تاريخاً ،أكثر تجذراً في الحضارة من الغرب، وهم أكثر تميزاً وقدرة على العمل والأهم من هذا كله أكثر غنى وثراء في الموارد. والسؤال المطروح دوماً ما الذي جعل من روسيا قبل المرحلة السوفييتية وبعدها أقل وزناً من مثيلاتها الدول الأوربية على الرغم من توافر عناصر التميز كافة؟

وبالفعل تبدو روسيا وكأنها تتأرجح بين هويتين متباعدتين في الانتماء الحضاري، الهوية الغربية التي يميل إليها كثير من المفكرين والأدباء والسياسيين الذين يرون أن روسيا اقرب في هواها إلى الغرب منها إلى الشرق، والهوية الشرقية التي تقع بعض مساحات روسيا ضمن حدودها، وهذه الأخرى تنقسم أحياناً إلى دوائر أصغر (السلافية، الأرثوذكسية، الأوراسية) ولها من الأنصار ما يكفي لتمايز الروس عن الغرب.

ولم يكن هذا الإشكال (**الهوية**) هو وليد الفترة التي شهدت ولادة روسيا من جديد بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، فقد واجهت موسكو ذات الإشكاليات منذ الانقلاب التاريخي الأول الذي أحدثه بطرس الأول عام ١٧٠٠ الذي فرض الإصلاحات التي أدت إلى ظهور الاتجاه الغربي (الأوربي) والاتجاه "الوطني" (الذي عرف بالسلافية وكان أول رواده الفيلسوف والسياسي تشادايف). كان هذا الصراع يبرز إبان الفترات الانتقالية كلها وصولاً إلى الثورة الاشتراكية التي كررته بعد أكثر من قرنين من الزمن، ومن ثم الثورة الديموقراطية عام ١٩٩١، ولا يعني تكرار الحالة إلا ديمومة إشكالاتها. فالتاريخ الروسي الفكري، منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن وهو يراكم الجدال حول الهوية الروسية. حيث شغل هذا الموضوع فكر المثقفين والأدباء، حتى أن الروائي الروسي الشهير فيودور ديستوفسكي (١٨٢١- ١٨٨١) ساهم في مدوناته الخاصة بهذه المسألة: "أما الشعب الروسي، فإنه شعب أورثوذكسي، ولا يمكنه أن يكون إلا كذلك... وإذ ييمم هذا الشعب وجهه إلى مكان مقدس... فإن هذا المكان هو بالضرورة اسطنبول (القسطنطينية) التي تخصه دون غيره من الشعوب منذ أقدم الأزمان[١].

ان وحدة الجغرافيا التي سعى الى تحقيقها الكثير من قادة الدول عبر التاريخ لا تبدوهي أساس القوة، فروسيا تكاملت في عهد بطرس الأول جيوسياسيا، لكن وحدتها الثقافية بقيت غير مكتملة ، لأنه ألزم الشعب الروسي بقواعد وقيم ومعايير لم تعشها سياسيا ولا اجتماعيا ولا أخلاقيا. ولم تعش روسيا مشاعر البهجة الداعية للعودة إلى "العهد الكلاسيكي" لأنه ليس لها عصور وسطى. ولم تعان روسيا الأرثوذكسية من صراع المذاهب والطوائف إذ لا كاثوليكية فيها ولا بروتستانتية[٢].

١- مالاشينكو، ألكسي، الإسلام: الثالث العصري والمتغيرات السياسية، ترجمة د. مختار جزي الشيخ، دار الحارث، دمشق ١٩٩٩، ص ٢٢

٢- العريس ابراهيم، دراسات دوستويفسكي: الوجه الآخر في لعبة المرايا، الحياة، ٨/١/ ٢٠١٢

لذا نجد أن سؤال الهوية برز على الواجهة من جديد، فرأى أنصار (الغربنة) أن الوضع الاقتصادي الناشئ والعلاقات الإنتاجية الوليدة لا تسمح بمواجهة مع الاقتصاد الغربي القوي والضارب في أعماق الاقتصاد العالمي، لذا لا بد من الإسراع في الالتحاق بـ "البيت الأوربي" والاندماج في الثقافة المعولمة، لأن مثل هكذا حلف يمكن أن يحمي روسيا من مخاطر محتملة تأتيها من الشرق، كما أن هذا التوجه المدعوم غربياً يعطي لروسيا وقتاً أكثر لترتيب بيتها الداخلي على المستويات كافة، فالدول التي تضمر مشاعر العداء لروسيا ستجد نفسها على مواجهة ليس مع روسيا لوحدها بل ومع الكتلة المتحالفة معها (المجموعة الأوربية).

وبالرغم من وجود مناهضة حقيقية من قوى سياسية روسية معارضة لهذا التوجه وهذه القوى التي تنظر إلى دور روسيا بعيداً عن الغرب (أوراسيا) برزت رؤيتها بالتمايز عن الغرب الذي لن يسمح لروسيا أن تبرز ضمن مجموعة كبيرة من الدول القوية اقتصادياً والمتقدمة، فتجارب السنوات القليلة التي أعقبت استقلال روسيا أثبتت أن "الديموقراطية الروسية" لم تكن ترغب في البداية أكثر من التخلص من عبء آسيا الوسطى، لكن هذه السياسة سرعان ما أثبتت خطورتها على الكيان الروسي نفسه،ومن هنا برزت قيمة الكيان الأوراسي إلى حيز المتطلبات السياسية والعسكرية. وكشف أن روسيا هي "آخر الغرب" و "أول الشرق"، وأن تغيير هذه المعادلة التاريخية والجيوسياسية يعني قلب البديهيات السياسية إلى مهاترات أيديولوجية لا تؤدي في نهاية المطاف إلا إلى إضعاف الدور الروسي في المنطقة وفاعليتها التاريخية باعتبارها "عامل الردع" الموازن بين الشرق والغرب[١].

ولاحظ أنصار التيار الشرقي أن الاتجاه غرباً يعني انتقال روسيا إلى هوية حضارية جديدة غير التي ألفتها على امتداد تاريخها، فروسيا منذ البدء قامت على قيم أوراسية، لذا لايمكن للإصلاحات الليبرالية الديموقراطية أن تأتي بشيء طيب [٢].

والأخطر من ذلك كله أن غربنة روسيا تعني تلاشي دورها وتراجعه إلى مصاف الدول غير الفاعلة في السياسة الدولية، وأن موسكو ستطل على المستقبل من موقع الضعف وليس من موقع القوة الذي اعتادت عليه، إلا أن عناد الرئيس الروسي الأول بعد التفكك بوريس يلتسين وقف إلى جانب التيار الأول وتمكن من فرض رأي تيار (الغربنة) بشكل ملموس في السياسة، بغض النظر عن حدة الانتقادات وتيار الغربنة الذي لم يخمد طيلة تاريخ الدولة الروسية الذي يزعم أصحابه أن روسيا لم تصبح قوة كبرى إلا من خلال امتدادها الغربي، وهو ما ظهر من خلال اشتراكها في الحروب ضد نابليون (١٨٠٥ ـ ١٨١٥) أو في قمعها للثورات ١٨٤٨ـ ١٨٤٩ في أوروبا الشرقية والوسطى، ثم اشتراكها في التحالف الثلاثي مع باريس ولندن في الحرب العالمية الأولى، فيما أصبحت قوة عالمية عظمى في ١٩٤٥ بعد الانتصار على النازية في الحرب العالمية الثانية [٣].

وفي الوقت الذي تمثلت سياسة أول رئيس لروسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي (بوريس يلتسين) باللين تجاه الغرب والتيقن من أن سياسة روسيا في المرحلة الجديدة تقتضي التحالف مع الغرب والاندماج في هياكله الاقتصادية والسياسية باعتبار ذلك الخيار هو الأجدى والأكثر نفعاً وأماناً لروسيا لذا اتجه يلتسين مدعوما بكتلة لا بأس بها من السياسيين امثال وزير الخارجية السابق أندريه كوزيرييف والقيادي الروسي البارز أناتولي تشوبايس وبعض شرائح الانتلجنسيا (المثقفون) التي لها انتماءات غير روسية وعدد غير بسيط من أعضاء البرلمان الذين وافقوه في هذا

١. الحنفي، مثلث روسيا، نهاية الثورة؟، دار المدى، دمشق ٢٠٠١، ص ١٦
٢. الحنفي، مثلث الإسلام في أوراسيا، دار المدى، دمشق ٢٠٠٣، ص ٢٦٥
٣. حلوم، حيدر، أوراسيا والغرب: استعادة الحرب الباردة، الحياة ٢٠١١/١٢/٢٥

التوجه نحو الوجهة التي ترى في أن "روسيا شريك لأمريكا وليست عدوا لها" [١].

في نهاية الأمر تبدو مسالة التغريب أو التشريق مسالة تكتيك سياسي وليست مشروعا يمثل الوعاء الذي يحتوي جميع التجاهات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وقد كان لفرنسا إثر خسارتها الإمبراطورية، أن انصرفت مثلا إلى المشروع الأوروبي، ولا يبدو أن روسيا تمتلك مثل هذا المشروع حتى اللحظة الراهنة إذ لا زالت روسيا حتى اليوم تفتقر إلى هوية وطنية جامعة، وقد مر عشرون عاماً على انهيار الاتحاد السوفيتي ولم تكتمل صياغة الهوية الروسية بعد، وتبدو روسيا اليوم وكأنها لا زالت لم تتعافى بعد من فقدان الإمبراطورية السوفييتية.

قد يكون هذا ما عناه صمويل هنتنغتون بالدولة الممزقة – التي أخفقت في تحديد هويتها الحضارية، وأمثلتها عنده: تركيا التي بقيت ممزقة لقرون متعددة، والمكسيك التي تمزقت في التسعينات، واستراليا التي يبدو أنها بدأت تعيد هويتها كمجتمع أسيوي، وتنمي علاقاتها مع جيرانها الجغرافيين[٢].

بغض النظر عن كل التحولات التي عصفت بروسيا في القرن العشرين، فقد ظل في وعيها ولاوعيها التراث المتراكم لروسيا الثقافية في توليف كيانها السلافي – الشرقي، عند أنصار السلافية والبلشفية. [٣].

ويشير المؤرخ الروسي الشهير، ليف غوميليوف، إلى أن خصوصية روسيا تتحدد بشعار "لا الشرق ولا الغرب" أي "لا أوروبا ولا أسيا بل أوراسيا) ذلك أن روسيا تمثل أمرا ثالثاً خاصا لا تعبر عنه مصطلحات الشرق والغرب[٣].

فالدولة الروسية إن ارادت أن تتجاوز عناصر التناقض التي تحملها في ثناياها عليها أن ترسم استراتيجية نحو الشرق مثلما هو الأمر بالنسبة للغرب. انطلاقا من وجود "العدو المشترك" يترتب على روسيا أن تبدي اهتمامها بتلك الدول التي عانت من الضغوط الأطلسية، وهذا التحالف السياسي إذا ما أضيفت إليه عناصر القدرة الصناعية والتقانية التي تمتلكها الدول الشرقية (الهند، الصين، اليابان)، يمكن أن يؤهلها ذلك لتصبح واقعا جيوبوليتيكيا أساسيا في التوازن الجديد.

- **"البوتينية" والبحث عن المكانة الدولية**

في خضم التجاذب الروسي في تحديد الاتجاه ما بين الغرب والشرق، وفي لحظة مواتية وجدت القوى السياسية الروسية التي تعترض على الذوبان في المحيط الغربي أن الوقت موات لتعديل مسار السياسة التي اتبعتها روسيا في بداية طريقها، فالفشل في الاندماج مع الغرب خيب آمال أنصار الاتجاه غرباً ولم تحصد موسكو منه سوى الخيبات المتتالية سياسياً واقتصادياً، وفي هذا الوقت لعب العامل الصحي للرئيس يلتسين دوره في ظهور ملامح نهاية حقبة من تاريخ روسيا وبداية حقبة أخرى يجب أن تكون مغايرة بعد هذا الفشل في السياسة القائمة، وبدا الساسة الروس أنهم على قناعة بأن مواصلة نهج يلتسين يعني استمرار التوترات والتجاذبات بين الكتل السياسية، مثلما يعني مواصلة إخفاقات السياسة الداخلية والخارجية الذي لا بد من أن يدفع الأمور نحو المزيد من التدهور، ولم يكن هاجس الرئيس الذي تناقصت قوته وشعبيته بشكل ملحوظ سوى التخلص من الانتقادات المتلاحقة لسياساته ولكن بشكل

١- رمضان، محمد سيد، الاستبداد الروسي، الأخبار ٣،١١،٢٠١٠
٢- Shively, w. Phillips, Power and Choice: An Introduction to political science. ١٠ th ed (boston, MA: McGraw-Hill Higher educationm ٢٠٠٧ pp.٢٢٤،٢٢٥
٣- هنتنغتون صموئيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ص ٢٨٣
٤- الحناني، ميلم، روسيا، نهاية الثورة؟، دار المدى، دمشق ٢٠٠١، ص ٣٠-٣١

لا يجعله عرضة للمساءلة في المستقبل، ولا يدفع الأمور باتجاه المزيد من التدهور. وكانت المؤشرات تشير إلى بوتين، تلك الشخصية المخابراتية الهادئة القادمة من سان بطرسبورغ التي حازت على ثقة الرئيس يلتسين وعائلته بعد نجاحها في العديد من المهام التي تكلف بها بوتين. وهكذا رأت عائلة يلتسين في بوتين أهم حلفائها، واهم المدافعين عن اهتماماتها الاستراتيجية [١].

وفي نهاية ١٩٩٩ استلم بوتين رئيسا لمجلس الأمن دون ترك منصبه كمدير للاستخبارات الفيدرالية، واستطاع مسك عصا القيادة بيديه الاثنتين معا، وفي ٩/آب تم تعيين بوتين قائما بأعمال رئيس الوزراء، ودعا الرئيس يلتسين جميع الروس لانتخابه رئيسا في المستقبل القريب، وفوجئ الروس بهذا التصرف واعتبروه خارج إطار الديموقراطية أعلن الرئيس يلتسين بصوت عال عن تسليم صلاحيات الرئيس لبوتين رئيس الوزارة، وعاد إلى الكريملين ليسلمه الحقيبة النووية، وهي المعبرة عن سلطة الرئيس ورهبته، وحدد موعد الانتخابات في ٢٦ اذار ٢٠٠٠، ولم يشك أحد بفوز بوتين بها [٢].

هكذا تمكن بوتين من حيازة ثقة يلتسين، مثلما تمكن من النجاح في عتبات وجوده ضمن العديد من الشخصيات الكبيرة والموهلة. في تعيين بوتين ضمن الرئيس يلتسين عدم مساءلته أو محاكمته لاحقا بعد أن اطمأن أن السلطة باتت بيد شخصية تتوافر فيها شروط القبول وفي الوقت نفسه تتمتع بالقدرة على ضبط التوترات والتناقضات وعلى إدارة الدفة بمقدرة تنقذ البلاد من التخبط الذي أوصل روسيا إلى درجات غير محمودة الجوانب على مستوى الأوضاع الداخلية والخارجية.

ومع بداية الألفية الجديدة تسلم الرئيس بوتين دفة القيادة وهو القادم من أكثر المؤسسات سرية ومتانة في العهد السابق (كي جي بي) والذي ما زال يحز في نفسه ومجتمعه المجد الضائع للقوة العظمى. لم تكن العوامل الداخلية وحدها هي التي سهلت مهمة بوتين في الانقلاب على سياسات سلفه، بل عملت العوامل الخارجية المواتية فعلها في تعبيد الطريق امام بوتين الجديدة إذ تسلمت إدارة جديدة في الولايات المتحدة تمثلت في عنجهية لا مثيل لها في تاريخ العلاقات الدولية (جورج بوش الابن) الذي لم ير إلا وجه القوة لأمريكا واستخدمه في حدوده المتطرفة مستهينا بالمؤسسات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن التي أراد تطويعها وفقا لرغبات ومصالح أمريكا فقط. هذا المنحى في السياسة الأمريكية ومن حيث لا تقصده واشنطن ساهم في إضعاف القوى الروسية (المتغربنة) مثلما ساهم في تجسيد الرؤية الجديدة للرئيس بوتين التي يسعى من خلالها فرض المصالح الروسية على صعيد السياسة الخارجية واستعادة هيبة وريث الدولة السوفييتية العظمى.

بعد انتخاب بوتين رئيسا لروسيا في آذار ٢٠٠٠ كان في مقدمة اهتماماته القضاء على الفوضى في اوساط صناع القرار الروسي، وهي الفوضى الناجمة عن مشاركة سبعة لاعبين أساسيين في رسم السياسة الخارجية الروسية (يلتسين وإدارته، وزارة الخارجية، مؤسسات النفط العملاقة مثل لوك أويل وغاز بروم، ووزارة الدفاع، ووزارة الطاقة الذرية، والشركة الروسية المسؤولة عن تصدير السلاح، وكبار المسؤولين ذوي النفوذ ممن للهم علاقة وثيقة بمجلس الدوما[٣].

---

١. حلمي، عماد الدين، المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا، شؤون الأوسط، العدد ١١٩، خريف٢٠٠٣، ص ٥٣
٢. زار الكسندر، فلاديمير بوتين "الملك" في الكرملين، ترجمة د. جورج مراد، طباعة دار البعث، ١٩٩٤، ص ٣١ وما بعدها.
٣. أبو عامود، محمد سعد، "التحولات السياسة الأمريكية تجاه إيران وتركيا وروسيا" السياسة الدولية، السنة ٣٨، العدد ١٤٧ (كانون الثاني ٢٠٠٢) ص ٧٥.

وبالفعل بعد حوالي العامين من تسلمه السلطة في روسيا نجح بوتين في (تدجين) كبار رجال الأعمال الذين توغلوا في القرار السياسي (الأوليغارشيا) خصوصا بعد الحملة التي طاولت عدد من رؤسائها (بيريزوفسكي وغوسينسكي وخودروفسكي وغيرهم) ما أطلق عليه انذاك "خريف الأوليغارشيا" للدلالة على أفول نجم أقطابها وتهاوي مواقعهم السياسية وقدرتهم على التأثير في موقع القرار[١].

وخلال الفترة الأولى استطاع الرئيس القادم على تسويق معادلة قوامها إيقاف التردي الأمني بفعل سطوة المافيات واقتتالها ومحاربة الفساد الخيالي ووقف التضخم وزيادة القوة الشرائية واستئناف النمو بعد انهياره في ذروة العهد اليلتسيني واستعادة خطاب الدولة العظمى على قاعدة توجه قومي روسي[٢].

وتمكن بالفعل خلال زمن قياسي نسبيا لمثل تلك الحالات من إصلاح الوضع في روسيا من خلال كسب ثقة الجمهور واقامة مثال قيادي يختلف عن وضع سابقه في الحكم. ركز بداية على مسألة الشيشان وصمم على ضرب الاحتجاجات هناك بقسوة غير معهودة، ولاقى نتيجة لذلك دعما شعبيا قويا مكنه فيما بعد بالقيام بالمزيد من الخطوات على رأسها ضرب أباطرة المال الذين كانوا يتحكمون بالاقتصاد الروسي[٣].

كما عمل الرئيس الجديد بحذر وهدوء على إزاحة النفوذ السياسي لما سمي بحكم العائلة (عائلة يلتسين) وخاصة لجهة تدخل ابنته لاريسا وزوجها والمحيطين بها في شؤون البلاد، ومن جهة أخرى عمل تدريجيا على ارساء قاعدة سياسية خاصة به من خلال ما يعرف حتى اليوم بحزب السلطة (روسيا الموحدة) وتأمين أكثرية برلمانية موالية مكنه من تمرير القوانين اللازمة وفق تصوره لسياسة البلاد.

وحاز حكم بوتين مشروعيته جراء مساهمته في ارساء النظام والاستقرار في روسيا اثر عقد من الفوضى والتقهقر الاقتصادي اللذين أعقبا سقوط الاتحاد السوفييتي[٤].

بدأت روسيا تدخل في مرحلة التحرر من العبء الذي خلفته سياسة الرئيس السابق والتي بموجبها شهدت موسكو خسارة كبيرة لمواقع استراتيجية طالما حافظت عليها خلال عقود سابقة، وبدأ الرئيس الجديد مباشرة بترميم العديد من التوجهات الجيوسياسية الخارجية، التي أقر بعضها بعد توقيعه العقيدة السياسية الجديدة للسياسة الخارجية الروسية بتاريخ ٢٠ حزيران ٢٠٠٠ والتي بموجبها تم تحديد الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية الروسية التي شكل عمادها الحفاظ على مصالح الأمن القومي، وخاصة بما يتعلق واقامة القطب الواحد الذي تهيمن عناصر القوة الاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة.من هنا فإن الأولوية يجب أن تتمحور حول تجسيد عالم جديد يقوم على مبدأ المساواة والشراكة والمتبادلة، بحيث يشعر كل عضو من أعضاء النظام العالمي الجديد بأن أمنه مكفول فعلا[٥].

١- دياب، محمد، خريف الأوليغارشيا، بوتين يعلن الحرب على "القياصرة الصغار" صحيفة الرياض السعودية، ١٣ تموز ٢٠٠٠.
٢- هلال، بشير، بوتين وصنعة الانتخابات، الدار، مبكر بتاريخ الطلب الحياة ٢٠١٢-١٢-٢٠١١>
٣- "Stratfor Editor, "Russian Oligarchs: Part 1: Putin"s Endgame against his Rival.
٤- روسيا تسلك مسارها الخاص نحو الديموقراطية، الحياة ٤-٠٢-٢٠١١.
٥- شوين، فلاديمير، عقيدة السياسة الخارجية الروسية، شؤون الأوسط، العدد ١١٢، خريف ٢٠٠٣، ص٤٦

والمراقب للأوضاع السياسية الروسية لا يساوره الشك في نجاح خطة بوتين في تثبيت دعائم الحكم بين يديه ، إذ تمكن من النجاح لتولي الحكم في البلاد لولاية ثانية (٢٠٠٤-٢٠٠٨) ثم تمكن من ايصال الرئيس ديمتري ميدفيديف إلى السلطة في الكرملين، ضمن سيناريو أعده بشكل بارع ضمن "لعبة الديمقراطية" بعد أن رفض اقتراحات مجلس الدوما وحزب روسيا الموحدة بتمديد فترة رئاسته لولاية ثالثة.

على صعيد السياسة الخارجية وكما يقول كينث والتز المنظر السياسي الشهير في كتابه "نظريات السياسة الدولية" Theories of International Politics الذي يرى أن استراتيجية الدول الخارجية يرتبط بشكل أساسي من منظار موقعها في ميزان القوى الدولي، والغايات التي تسعى اليها كل دولة، أيا كان نظامها، تتلخص بالبقاء ومد النفوذ وهذا ما طبع سياسة كل من الدولتين العظميين إبان الحرب الباردة بالرغم من اختلاف الأنظمة والعقائد[١].

وانطلاقا من المقولة الأساسية لهذه النظرية عمل بوتين على استعادة موقع روسيا كدولة محورية في العالم لها نفوذها وتأثيرها في الساحة العالمية، وبعد أن اطمأن الرجل على تعافي روسيا داخليا، بدأ بالتفكير في مد النفوذ فاعتمد بداية خيار الانفتاح في العلاقات على كل الدول خلافا للتوجه الذي اعتمده سلفه يلتسين في التوجه الغربي الكامل وعلى الدعم والمساعدات من الدول الغربية وعلى برامج وتوصيات صندوق النقد الدولي، فإن توجه الرئيس بوتين كان باتجاه الاعتماد على قوى البلاد الذاتية وبدلا من الانفتاح المفرط على الخارج، تبنى سياسة الانفتاح المدروس على الخارج والبراغماتية في الدفاع عن المصالح الوطنية، وأعلن بوتين مباشرة انه يتعذر على روسيا أن تستعيد مكانتها كقوة كبرى والحفاظ على استقلالية قراراتها الداخلية والخارجية، ما لم تتجاهل الاعتماد على المساعدات الخارجية. ولعل الذي ساعد بوتين أكثر في مجال تعزيز الاقتصاد هو ارتفاع سعر النفط من ١٥ دولار للبرميل قبل تسلم بوتين القيادة في روسيا، إلى أكثر من ٩٠ دولار عام ٢٠٠٧ [٢].

من الواضح أن أسعار النفط والغاز التي التهبت بشكل غير متوقع إضافة إلى تناقص موقع الولايات المتحدة في العالم- الناجم عن مغامرتها في العراق وأفغانستان قد دفعت موسكو إلى تعديل مسار سياستها الخارجية دون أن يعني ذلك تغيير جذري في الاستراتيجيا التي بقيت وفية من حيث المبدأ على الانفتاح نحو الغرب، بيد أن التكتيك قد تغير من موقع التعاون إلى موقع المواجهة.

وارتفاع أسعار النفط والغاز كانت من أهم الدعائم لسياسة بوتين وحجمت إلى حد كبير من ممانعة القوى الداخلية لمناهضة سياسته، مثلما ساعد الوارد المالي الإضافي موسكو في الإيفاء بالتزاماتها المالية تجاه الدول الأخرى واستقلالية قرارها السياسي.

تدريجيا بعد العام ٢٠٠٠ عملت موسكو على استعادة دور الدولة وتقليل مساحة سيطرة القطاع الخاص على الكثير من الموارد، فشهدت روسيا تحسنا اقتصاديا متنامياً، ارتفع به معدل النمو الاقتصادي إلى ٨% حسب تقديرات البنك المركزي الروسي.

١- بهراد فؤاد، الشرق الأوسط الجديد في الفكر السياسي الأمريكي، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، العدد ٢٠، بيروت ٢٠٠٠

٢- الشيخ، نور هان، "روسيا والاتحاد الأوربي: صراع الطاقة والمكانة"، السياسة الدولية، السنة ٤٢، العدد ١٦٤ (نيسان ٢٠٠٦) ص ٦٤

وزاد معدل نمو الاستثمار من ٨,٧% إلى ١٠%، وبلغ حجم الاستثمارات الأجنبية ١٣٠ مليار دولار، وزاد حجم الإنتاج الصناعي ما نسبته ٧,٧% فضلاً عن زيادة إنتاج النفط والغاز في ظل ارتفاع الطلب وزيادة أسعارهما عالميا وقد انعكست هذه التطورات في ارتفاع حجم التبادل التجاري الخارجي لروسيا عام ٢٠٠٦ بنسبة ٢٧%، وبلغ ٤٦٨ مليار دولار، كما زاد حجم نسبة الصادرات بنسبة ٢٥% في نفس العام وبلغت ٣٠٤ مليارات دولار، وبلغ فائض الميزان التجاري ١٤٠ مليار دولار[١].

وبعودة الدور الروسي بسبب الانجازات التي تحققت وجه بوتين انتقاداته الحادة إلى نظام أحادية القطب بزعامة الولايات المتحدة حين قال: " إن منظومة قوانين دولة واحدة، بالطبع الولايات المتحدة بالدرجة الأولى، تجاوزت حدودها القومية في كل المجالات، في الاقتصاد والسياسة، وفي مجال فرض قوانينها على الدول الأخرى.. ونزداد قناعة بأن هذه الأدوات موجهة نحو هدف واحد: تحقيق واشنطن لأهدافها الذاتية من علاقاتها مع روسيا" كانت هذه العبارة بمثابة الإعلان الصريح والصارخ باتجاه انتقاد السياسة الخارجية الأمريكية وتجاهلها لمصالح الدول الأخرى وخاصة روسيا، وبمثابة إعلان بداية عدم القبول بالهيمنة الأمريكية في فرض رؤيتها السياسية في الملفات الخارجية حسب مصالحها فقط .

وبالفعل على مدى السنوات التي تلت استلام بوتين استطاع إعادة بناء علاقات روسيا مع عدد كبير من الدول العربية، تتضمن حلفاءها التقليديين في الشرق الأوسط، وفي مقدمتهم سورية وليبيا والجزائر، والشركاء الجدد مثل دول الخليج والأردن، وأصبح لدى روسيا مصالح حقيقية في المنطقة تسعى للحفاظ عليها وتنميتها والنشاط الروسي على الساحة الشرق الأوسطية لا يزيد على كونه إشارة تبعث بها موسكو إلى الولايات المتحدة بأن روسيا لم تخسر الحرب الباردة بالضربة القاضية، كما يعتقد، وإنما خسرتها بالنقاط [٢].

فروسيا لا تسعى إلى تحقيق مكاسب سياسية أو ممارسة دور أمني أو عسكري ينافس الوجود الأمريكي المكثف في المنطقة العربية، وإنما تسعى إلى شراكة استراتيجية بالمعنى الاقتصادي والتقني، ذات عائد اقتصادي مباشر لروسيا، إضافة إلى العائد التنموي الذي يصب في مصلحة البلدان نفسها[٣].

ومن اهم اعتبارات عودة روسيا إلى المنطقة تأتي في نطاق المجال الجيوسياسي المشترك بعد ولادة مجموعة من الدول المستقلة في وسط آسيا والقوقاز، مما أحدث قدرا كبيرا من التداخل الأمني والإستراتيجي بين المنطقتين، وبالتالي فإن محرك السياسة الروسية يقوم على الحيلولة دون تحدي روسيا في مناطق نفوذها الأولى، سواء من دول جارة كإيران وتركيا أو بعيدة كالولايات المتحدة.

تغيرت التوازنات الإقليمية والدولية بشكل كبير بعد ١١ ايلول، والتي على أساسها قررت واشنطن إطلاق ذراعها العسكري في "محاربة الإرهاب" ونجم عن ذلك التدخل المباشر في افغانستان، كما تم إسقاط النظام العراقي واحتلال العراق بشكل مباشر في عام ٢٠٠٣ ، وبقيت القوات الامريكية في العراق حتى انسحابها مع بقاء قواعدها العسكرية في هذا البلد إضافة إلى مجموعة من الاتفاقيات مع الحكومة العراقية التي تضمن المصالح الأمريكية في هذا البلد.

١- دحمان، عازي، روسيا بوتين: قطب دولي أم دولة مستقطبة، موقع الجزيرة للدراسات، ١٥-١١-٢٠٠٧.
٢- عرفات، ابراهيم، روسيا والشرق الأوسط أية عودة؟، السياسة الدولية، تشرين الأول ٢٠٠٧
٣- الشيخ، نورهان، السياسة الروسية تجاه المنطقة بعد الثورات العربية، "السياسة الدولية"، السنة السابعة والأربعون، العدد ١٨٦، تشرين الأول ٢٠١١، ص ٢٦٤.

في خضم هذه الأحداث الجسيمة التي غيرت خارطة التوازنات الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط، لم يبرز دور موسكو بشكل فاعل في تلك المتغيرات إلا بشكل خجول ولا يتناسب حتى مع مصالحها المباشرة. وبدت روسيا اقل اكتراثا بما يجري في المنطقة، حتى أن احتلال العراق مرّ دون عراقيل كان يمكن لروسيا أن تجسدها لو شاءت، خاصة وان العراق كدولة هو من الركائز الأساسية لها في المنطقة.

ان هذه المتغيرات التي تجاهلت مصالح روسيا والتطورات الاقتصادية والعسكرية التي شهدتها دفعت بروسيا إلى إعادة صوغ مفهوم جديد للجغرافيا السياسية يقوم على الحاجة إلى مجالات حيوية ومناطق نفوذ تعزز مكانة روسيا وهيبتها عدا عن إعادة الهيبة والاعتبار للبلاد. وفي مجال أخر مكنت الظروف الدولية، إضافة إلى رغبة الروس الكامنة في استعادة صورة روسيا القوية بعدما بالغ الغرب كثيرا في تجاهل مصالحها ووصلت درجة التجاهل إلى مجالات روسيا الحيوية وحدودها المباشرة (وجود الناتو في كوسوفو، الثورة البرتقالية في أوكرانيا، ثورة الورود في جورجيا). إذ سعت الولايات المتحدة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي إلى تحقيق عدة أهداف في جمهوريات الاتحاد السابقة، شملت هذه الأهداف نزع السلاح النووي من كازاخستان ومنع عودة السيطرة الروسية إلى آسيا لوسطى وتطوير مصالح الشركات الأمريكية في استثمار الموارد الطبيعية وترسيخ التحول الديموقراطي والرأسمالي، وحاولت واشنطن التعامل مع هذا الوضع الناشئ بعناية فائقة بحيث لا تصطدم مع الدور الروسي من خلال تقديم القروض والمعونات الفنية اللازمة لتشجيع عملية الخصخصة وتوفير الموارد المالية والخبرات البشرية. واتسم السلوك الأمريكي باستخدام الدبلوماسية الهادئة التي هدفت لإحداث تعددية سياسية[١].

هذا إلى جانب جهود واشنطن لضم هذه الدول إلى منظمة الأمن والتعاون في أوروبا والمنظمات الغربية، والتركيز على تشجيع هذه الدول لاتباع النموذج الغربي من خلال الإقتداء بالنموذج التركي. والمعروف استراتيجيا أن سيطرة طرف من الاطراف على منطقة اسيا الوسطى يعني السيطرة على قلب العالم كما عبر عنها الجغرافي (هالفورد ماكيندر)، إذ أن هذه المنطقة ترتبط بتوازنات القوى ليس في آسيا وحدها، بل في العالم باعتبارها منطقة تتقاطع مع قوى عالمية سابقة هي الاتحاد السوفييتي، وقوى عالمية صاعدة كما هو الحال بالنسبة للصين، وهي على تماس مع مناطق الصراع في جنوب ووسط اسيا خاصة بعد أحداث ١١ أيلول بما أكسبت المنطقة زخما وأهمية خاصة لما يمكن أن تمثله كمصدر لتهديد الأمن الامريكي خاصة والعالمي عامة[٢].

ويرى الكثير من الروس أن قصف يوغوسلافيا واحتلال العراق وأفغانستان، وانضمام بعض دول شرق أوروبا إلى حلف الأطلسي واقتراب الحلف من الحدود الروسية ..إلخ، من الإجراءات والسياسات الغربية عبارة عن إهانة للروس، وأن الاحترام لا يتأتى إلا بالقوة الاقتصادية والعسكرية، وأن الضعف الاقتصادي والعسكري يؤديان إلى خسران الاستقلالية [٣].

كل هذا الزخم من الشعب الروسي ومن الثقة بالإمكانات الروسية دفع الرئيس بوتين إلى توجيه انتقادات حادة في (مؤتمر ميونيخ) للسياسة الخارجية الأميركية، لاسيما وضع وحدات صاروخية في بولندا والتشيك، وهاجم توسيع الناتو معتبرا أنه بادرة عدائية. هذا التصريح الخطير الصادر عن رئيس روسيا أثار حفيظة الغربيين إلى الدرجة التي صرح بها وزير الدفاع الأميركي روبرت جيتس، بقوله رداً عليها "كفانا حربا باردة واحدة".

١- د. سليم، محمد السيد، "الأهمية الإستراتيجية لدول اسيا الوسطى الإسلامية وأبعاد التنافس الدولي على المنطقة في ضوء مستقبل العلاقات الغربية مع الجمهوريات الإسلامية في اسيا الوسطى، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، ١٩٩٦، ص ص ١٤٦-١٤٨.

٢- ياسين، عبير، الوجود العسكري والسياسة الأمريكية تجاه اسيا الوسطى، السياسة الدولية، العدد ١٥٩، نيسان ٢٠٠٣، ص ٢٢٨.

٣- Friedman. George. Russia's Great Power Strategy

وتجسيدا للنزعة البوتينية في إيجاد تكتلات أو احلاف توازي التكتل الغربي دخلت روسيا في منظمة شنغهاي في العام ١٩٩٦ مع الصين وكازاخستان وطاجكستان وقيرغيستان ، وفي عام ٢٠٠١ انضمت أوزبكستان إلى الخمسة الأساسيين واعلن قادة الدول الست تشكيل "منظمة شنغهاي للتعاون"، ولاحقا في ٢٠١١ تم التوقيع على الاتحاد الجمركي بين روسيا وبيلاروسيا وكازاخستان، بالتوافق مع الشراكة الاقتصادية الأوراسية ، وكل هذه التجمعات ما هي إلا خطوات او محاولات نحو إلغاء الأحادية القطبية وتأسيس قطب قوي يعيد رسم خريطة القوة في العالم .وعلى الرغم أن بوتين راح يُطمئن العالم كل مرة أن هذه الأحلاف ليست موجهة ضد أحد، لكن ذلك مجرد غلاف دبلوماسي لمصالح سياسية تتوخاها موسكو من هذه التجمعات. وقد نشرت «الإزفيستيا» في ٣ /١٠/ ٢٠١١ مقالا لرئيس الوزراء الروسي بوتين تطرق فيه إلى الرؤية المستقبلية لأحد هذه الأحلاف (الاتحاد الأوراسي) جاء فيه: «في بداية العام ٢٠١٢ سيبدأ مفعول اتفاقية الاتحاد الاوراسي بين بيلاروسيا وكازاخستان وروسيا، وبموجبه سيتم إلغاء التأشيرات بين أطراف الاتفاقية، وسيتم لاحقا اعتماد عملة موحدة، كما في الاتحاد الأوروبي». وجوهر الاتحاد ارتكز على أساس قيمي وسياسي واقتصادي جديد يستجيب لمتطلبات التاريخ

ومن أبرز العوامل التي ساعدت في الإسراع لتجسيد هذه الرؤية الروسية الجديدة في العلاقات الدولية هو الانكفاء الأمريكي الغربي في العالم الخارجي بعد سنوات قليلة من عدم نجاح السياسات الأمريكية لما بعد الحادي عشر من أيلول، وهو ما حفز النزعة الهجومية المستجدة عند موسكو ضمن مجالاتها السوفييتية السابقة: في جورجيا من خلال حرب آب ٢٠٠٨، وأوكرانيا بين شباط ٢٠٠٩ وشباط ٢٠١٠ من خلال فوز القوى الموالية لموسكو في انتخابات البرلمان والرئاسة، وفي قرغيزيا في نيسان٢٠١٠. ترجم ذلك في ابتعادات نسبية في تركمانستان وأذربيجان عن الغرب وأنقرة) لصالح موسكو .

يتبين ان الروس يصرون على استعادة دورهم ليكونوا مؤثرين في الساحة الدولية، فهم خبروا الحرب الباردة وتبعاتها، ومن غير المعقول أن يعمدوا على استعادة الأجواء نفسها التي دفعوا ثمنا غاليا لتفكيكها. مع ادراكهم في الوقت نفسه لإمكانيات روسيا الضخمة خاصة في مجال إنتاج مصادر (الطاقة ومواد الخام الهائلة التي يمتلكونها إضافة إلى الارث الثقافي) الذي يملكه الشعب الروسي والذي يشكل عاملاً هاما في تحديد الهوية الروسية ، وهذه العوامل كفيلة للتدليل على مكانتهم المتميزة وقدرتهم على التأثير في السياسة العالمية.

❖ الخاتمة

نستنتج من هذا البحث اهمية عامل الهوية القومية في رسم السياسة الخارجية الروسية ، وهذا العامل الذي كان متوافراً إبان العهد السوفييتي لكنه لم يصنع هوية او حضارة وضل السوفييت عبارة عن مجموعة من الشعوب بهويات متباعدة أحيانا.

ولما كان المنطلق السوفييتي السابق ينأى بنفسه عن أي حديث عن مواضع الوهن في الجسم السوفييتي، فقد تسببت تلك الثغرات في تقويض الدولة العظمى. وتحاول روسيا الحالية النأي بنفسها عن تلك الأمراض لكنها قد لا تنجح ما لم تحسم موضوع الهوية الجامعة (غربية أم شرقية، سلافية أم أوراسية، أرثذوكسية أم علمانية..)

هذا السؤال القديم المتجدد لا زال يطرح نفسه بقوة اليوم وعلى اساس تحديد الهوية يمكن تحديد اتجاهات السياسة الروسية للمستقبل القريب والبعيد .

مثل هذه القضية (الهوية)،وحسمها لا بد وأن يهمنا نحن الدول التي يصعب بإمكاناتها الذاتية مواجهة الأطماع الغربية والمؤسسات الكبرى التي تحاول إعادة استعمار بصيغ جديدة فرضتها شروط العولمة. مثلما يمكننا – بإمكاناتنا المتواضعة نفسها - أن نسهم بصيغ متعددة في إعادة التوازن النسبي للعالم في حال التوظيف السليم لهذه الإمكانات .

❖ مراجع البحث:

- المراجع العربية :

١) أبو عامود، محمد سعيد ، تحولات السياسة الأمريكية تجاه إيران وتركيا وروسيا، السياسة الدولية، السنة ٣٨، العدد ١٤٧ ،كانون الثاني ٢٠٠٢.

٢) الجنابي، ميثم، الإسلام في أوراسيا، دار المدى، دمشق ٢٠٠٣.

٣) الجنابي، ميثم، روسيا نهاية الثورة، دار المدى، دمشق، ٢٠٠١.

٤) حلوم، منذر بدر، أوراسيا والغرب، استعادة الحرب الباردة، الحياة.

٥) دحمان، غازي، روسيا بوتين..قطب دولي أم دولة ممانعة.

٦) دياب، محمد، خريف الأوليغارشيا، بوتين يعلن الحرب على القياصرة الصغار صحيفة الرياض، السعودية، ١٣ تموز، ٢٠٠٠.

٧) رار الكسندر، فلاديمير بوتين ،ألماني، في الكريملين، ترجمة جورج مراد، طباعة دار البعث، ١٩٩٤.

٨) الدين، المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا، شؤون الأوسط، العدد ١١٢، خريف ٢٠٠٣.

٩) رصاص، محمد سيد، الاستيقاظ الروسي، الأخبار، ٣-١١-٢٠١١.

١٠) روسيا تسلك مسارها الخاص نحو الديموقراطية، الحياة، ١٤-١٢-٢٠١١.

١١) شوبين، فلاديمير، عقيدة السياسة الخارجية الروسية، شؤون الاوسط، العدد ١١٢ ،خريف ٢٠٠٣.

١٢) الشيخ، نورهان، روسيا والاتحاد الأوربي، صراع الطاقة والمكانة،السياسة الدولية، السنة ٤٢، العدد ١٦٤ ،نيسان، ٢٠٠٦.

١٣) الشيخ، نورهان، السياسة الروسية تجاه المنطقة بعد الثورات العربية، ،السياسة الدولية ، السنة السابعة والأربعون، العدد ١٨٦ ،تشرين الأول، ٢٠١١.

١٤) عرفات، إبراهيم، روسيا والشرق الوسط، أية عودة، السياسة الدولية، تشرين الأول، ٢٠٠٧.

١٥) العريس، إبراهيم، كراسات، دوستويفسكي،الوجه الآخر في لعبة المرايا، الحياة، ١/٥/ ٢٠١٢.

١٦) غرايبة، إبراهيم، التحولات الجغرافية التاريخية والسياسات الروسية، موقع الجزيرة الالكتروني.

١٧) غورباتشوف، ميخائيل، البيريسترويكا: اعادة البناء والفكر الاشتراكي ،الى أين نحن سائرون ،ترجمة عباس خلف، شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، بيروت، ١٩٩٠.

١٨) محمد السيد، سليم،الأهمية الإستراتيجية لدول أسيا الوسطى الإسلامية وأبعاد التنافس الدولي على المنطقة في ندوة مستقبل العلاقات العربية مع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، معهد الدراسات الديبلوماسية، الرياض، ١٩٩٦.

١٩) مالاشينكو، الكسي، الإسلام،الثابت الحضاري والمتغيرات السياسية، ترجمة ممتاز بدري الشيخ، دار الحارث، دمشق ١٩٩٩ .

٢٠) هنتنغتون ، صمونيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي،.....

٢١) هلال، بشير، بوتين وصفعة الانتخابات، إنذار مبكر بتآزيم النظام، الحياة ، ١٢-١٢-٢٠١١

٢٢) نهرا، فؤاد، الشرق الأوسط الجديد في الفكر السياسي الأمريكي، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، العدد ١٠، بيروت، ٢٠٠٠ .

٢٣) ياسين، عبير، الوجود العسكري والسياسة الأمريكية تجاه آسيا الوسطى، السياسة الدولية، العدد ١٥٢، نيسان، ٢٠٠٣.

• المراجع الاجنبية

٢٤-Black, Joseph, Russia Faces NATO Expansion, pp ٤٥-٥٠

Friedman, George, Russia's Great Power Strategy.

٢٥-Russia likely to remain defiant on Syria.

٢٦-Shively, w. Phillips, Power and Choice: An Introduction to political science, ١٠ th ed (boston, MA: McGraw-Hill Higher educationm ٢٠٠٧ PP.٢٢٤-٢٢٥.

٢٧- Stratfor Editor, "Russian Oligarchs: Part ١: Putin's Endgame against his Rivals.

- مصادر نت:

٢٨-ttp://www.aljazeera.net/NR/exeres/B٦٧٢CDCA-F٦ED-٤E٧٨A٦٨٠-F١٥١١D٢٨٤٩٠D.htm.

٢٩-http://www.aljazeera.net/NR/exeres/٧A٣٩F٨A٠-٠D١C-٤٩E٤-٨C٦٠-٢٤٢٢CCE٠EB٨.htm.

٣٠-٨http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=٢٦٤٩٢#ixzz١i٣٣kZJLV.

The role of Russian national identity in the end the domination of unipolar

Preparing a doctoral student

Bassam Mohammed Al-Mellhem

The supervision of Dr
Fadi Khalil

Co-Supervisor Dr
Khaled El-Massri

Department of International Relations

Faculty of Political Science

Damascus University

Abstract

Matched in a historic moment what the interests of the peoples of the Soviet Union within a specific geographic and managed to establish a sprawling state imposed itself as one of the most powerful states in the world.

But the Soviet experience presented itself as the will of the highly organized ideological gains achieved can not be ignored, not gone years after the breakup of the Soviet Union until Russia began trying to impose itself as a global pole again.

In the midst of attraction Russian in determining the new direction of its strategy between the West and the East found political forces, the Russian time conducive to alter the course of the policy pursued by Russia at the beginning of the way the new Premised me in Moscow extrapolate future when given confidence to President Vladimir Putin and handed over the helm of government and this ruling enables the diagnosis well The strict treatment of mistakes, in a brief period was able to stop the deterioration of the security and the fight against corruption and the resumption of growth and most of all restore speech superpower on the basis of a Russian nationalist orientation.

To restore Russia to its geopolitical position assumed the starting towards the east as a natural ally of Russia and get rid of the perception as the Middle ((southern Russia)), a source of instability and unrest.

And proven history states that the determination to the demise unless based political system on fixed values and the foundations of civilization on the grounds that the civilized values stemming from the indigenous culture and history of successive are transmitted from one generation to another either regimes and countries that adopt its future on the force will not write it continuity and possible her that leave certain imprints.